معرض الفن البريطاني الحديث

للأستاذ نصري عطا الله سوس

الفن لا زمان له ولا مكان ، بل هو تراث الانسانية الخالد على مر الأزمان . وحين تتيح لنا أمة من الأمم فرصة مشاهدة آثارها الفنية تمهد لنا السبيل إلى مشاركة فنانيها ورجال الفكر فيها ، أسمى أحلامهم وأمانيهم وأنبل عواطفهم واحساساتهم .

فى الفن وحده يتسامى الانسان عن المطامع والدنايا والمشاغل الدنيوية ، ويفسح الطريق لعواطفه ومشاعره التى تؤكد المعنى الانساني فيه ، المعنى الانسانى الذى لا يعرف الحدود الجغرافية أو المطامع السياسية وما تثيره من أحقاد وضغائن وفرقة ، والفن وحده هو النبراس الهادى الذى يذكرنا دائما أن البشر عائلة واحدة مهما احتدم بينهم الخلاف والبغضاء . وتبادل التراث الثقافى هو خير مايعزز هذا الاحساس فى الانسان . ومعرض الفن البريطانى المعاصر الذى أقيم فى القاهرة خلال هذا الشهر [1] مجهود طيب من مجهودات « المجلس البريطانى » فى سبيل تعزيز الألفة الثقافية والفكرية بين مصر وانجلترا

وقد قسم المعرض إلى أقسام ثلاثة : قسم الصور الزيتية والمائية ، وقسم الحفر والنقش ، وقسم رسوم الأطفال . ويحتوى القسم الأول على مايقرب من مائة لوحة لأقطاب الفن الحديث فى انجلترا ، وهى تعطينا فكرة صادقة عن هذا الفن خلال الأربعين سنة الأخيرة . ولا شك عندنا فى أن المجهود الذى بذل فى انتقاء هذه المجموعة من بين آلاف اللوحات كان مجهودا كبيرا صاحبه التوفيق إلى أبعد الحدود فى اختيار خير العناصر التى تمثل مختلف المدارس الفنية المعاصرة فى بلاد الانجليز

والفن الانجليزى المعاصر لا يتميز بطابع إقليمى قوى ، ذلك لأن غالبية أقطابه تلقوا دراساتهم فى البلدان الأوربية الأخرى وبخاصة باريس ؛ كما أن سهولة المواصلات وسرعة تبادل الانتاج الفكرى ساعد الفنانين الانجليز على سرعة استيعاب المذاهب الفنية الأوربية والتأثر بها .

(١) معرض الفن البريطانى المعاصر بجوار الجمعية الزراعية الملكية بالقاهرة من ١٠ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٠

قد فتح الله مصر عنوةً لكم
وأهلك الفاجرَ الجَعْدىَّ إذ ظلما
فلاك مقوله هـرٌّ يجـرره
وكان ربُّك من ذى الكفر منتقما

وسيره صالح الى أبي العبّاس السفاح . وكان قتله لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، ورجع صالح الى الشام . . . ، ولما وصل الرأس إلى السفاح وكان بالكوفة ؛ فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ، ولم يبق ثارى قبلك ... »[1]

٣ — رأس مصعب بن الزبير

قال ابن عبد ربه فى رواية مقتل مصعب بن الزبير : « ... فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب ، فقال : أين الناس أيها الأمير . فقال : غدرتم يا أهل العراق . فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة ، فنشب السيف فى البيضة ، فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعباً بالسيف فقتله . ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحـــرم

قال : فلما نظر عبد الملك إلى رأس مصعب ، خرّ ساجداً ، فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب : ما ندمت على شىء قط ندمى على عبد الملك بن مروان إذ أتيته برأس مصعب فخر ساجداً ؛ أن لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكى العرب فى يوم واحد .. » الرياشى عن الأصمعى ، قال : لما أتى عبد الملك برأس مصعب بن الزبير ، نظر إليه مليا ثم قال : متى تلد قريش مثلك ... »[1]

(البقية فى العدد القادم)

ميخائيل عواد

(١) الكامل فى التاريخ (٥ : ٣٢٧ ؛ ليدن ؛ حوادث سنه ٧٣ هـ) . وراجع تاريخ الطبرى (٣ : ٤٤ — ٥١) ، ومروج الذهب (٦ : ٧٦) والفخرى فى الآداب السلطانية (ص ١٧٥ ؛ طبعة أهلورد) .

(١) العقد الفريد (٣ : ٢٥٥)

ولطالما نعى النقاد — حتى الانجليز منهم — على الفن البريطاني خلوه من الروح الفنية الصحيحة وضعف « معنوية الشكل » فيه ، ولكن المجموعة المعروضة الآن تثبت أن الفنانين البريطانيين قد تحرروا إلى حد بعيد من ذلك الجمود الذى كان يرين على مجهود الكثيرين منهم . وفى هذا المعرض مجال طيب لدراسة الفن البريطانى المعاصر ، كما أنه مجال خصب للتأملات الحرة التى تتصل بجوهر الفن عامة دون تقيد بعصر من العصور أو أمة من الأمم .

وجولة سريعة فى هذا المعرض تقنع المشاهد أن الفنان الانجليزى يبلغ أوجه عندما يرسم مناظر الطبيعة الريفية فى بلاده ، فالصورة رقم ٧ (سنودنيا — لراعوند كوكسن) تتميز بقوة التصميم والتعبير وحرارة اللون ودقته وحيوية العاطفة . والصورة رقم ٨٣ (منظر طبيعى فى وادى ستور — لرولاند سدنى) تمتاز بالتعبير الشعرى وحسن اختيار اللون والشكل . والصورة رقم ٢٧ (كنيسة — بريشة د . أنز) والصورة رقم ٥٧ (تلال — لفيفيان بشفورث) تمتازان بالألوان الحية المعبرة

والصورة رقم ٧٣ (براى فى دورست — لستانلى سبنسر) ليست إلا صلاة للطبيعة بالشكل والألوان وهى تنم بنضوج العاطفة وحرارتها وقوة الأداء ، وتستطيع أن تشعر صادقا وأنت تتأمل هذه الصورة بذلك الشعور الصوفى الذى يستولى على الفنان عندما ينساق إلى الرسم انسياقا استجابة لقوة أكبر منه . . .

وللرسام ولسن ستير (١٨٦٠ — ١٩٤٢) أربع لوحات . وستير من أقطاب المدرسة التأثرية ، وأحد مؤسسى نادى الفن الانجليزى الحديث الذى كان له أكبر الأثر فى اتجاه الفن المعاصر بانجلترا . تعلم فى باريس ، ورسومه الأولى متأثرة كل التأثر بمانيه ، وديجا ، ومونيه ، وريشوار ، ولكنه استطاع فيما بعد أن يتخلص إلى حد ما من طابع التأثريين ويسير فى طريق كبار الرسامين الانجليز مثل ترنر وكرنستابل وجيتر بورو . وصوره الأخيرة تجمع بين الطابعين الانجليزى والفرنسى . وهو يجيد كل الاجادة عندما يرسم الأراضى المغطاة بالغابات والساحات الشاسعة التى تغمرها الظلال والأضواء وهو خير من يبين لنا أى تأثير كبير يستطيع أن يحدثه الفنان الكبير فى نفوسنا مع بساطة الأداء وسذاجته .

وأنا حين أضفى هذه الصفات السخية على هذه الأعمال الفنية التى ذكرتها لا أعنى أن كل هذه الأعمال توضع جنباً إلى جنب مع روائع التراث الفنى العالمى ، ونحن لا نستطيع أبداً وليس من حقنا أن نطالب الفنان بما ليس فى طوقه ، إنما نستطيع أن نلزمه بالصدق والاخلاص لعاطفته والمحافظة على كيان شخصيته وطابعها ، وهو إذا التزم هذه الحدود يستطيع أن ينتج شيئاً ، ونستطيع نحن أن نجد فيه مجالا للمتعة الذوقية برغم ما يعتوره من ضعف ، وكل ما يجب أن يتخلص منه الفنان والناقد والجمهور هو : الانخداع . فعلى الفنان أن يعرف حدود طاقته ولا يتعداها ، وعلينا أن نقدره التقدير الصحيح ونضعه فى موضعه اللائق — وقد قال « جيته » مرة : ما أسعد الرجل الذى يكتشف سريعاً الهوة بين رغباته وبين مقدرته — وطابع الاخلاص ظاهر جداً فى الصور التى تحدثت عنها وهو يكسبها حلاوة وجمالا برغم بساطتها ويسرها . ونطالع طابع البساطة أيضاً فى بعض مناظر الطبيعة الصامتة : فالصورة رقم ٣٨ (منضدة جانب الفراش لادوارد لبا) تعبر عن عاطفة لا تتكلم بل تغنى وتغنى بحرارة تتمثل فى فرحة الألوان الزاهية . والصورة رقم ٩ (زاوية غرفة الكتب لدى بليسس) تقول كل ما تقوله بالالوان فقط وهى تقول شيئا ما برغم بساطة التصميم وفجاجته .

ويعتبر دنكن جرانت من أقطاب الفن البريطانى الذين يمتازون بالحساسية الشعرية وقوة اللون وحسن اختيار الشكل وبراعة الأداء ، وكل هذا يبدو جليا فى لوحتيه رقم ١٨ (الحوان) ورقم ١٩ (صورة شخصية) ؛ وكأن صفاء نفس صاحبة هذه الصورة الأخيرة سرى إلى نفس الفنان فاختار اللون واللباس والجلسة التى تساعد على إبراز المعانى النفسية الوادعة البادية على وجه السيدة صاحبة الرسم .

وفى المعرض مجموعة لا بأس بها من صور الأشخاص ، من أهمها الصورة رقم ٣١ لجوين جون ، وهى صورة جانبية لفتاة صغيرة وهى من فرائد هذا المعرض فى قوة الشكل وحيوية التعبير

وهناك صورة لأوجستس جون بريشته ، وهى تمثل تمثيلاً قوياً الفنان اللاهى دائماً عن عالمنا ، الشارد الذهن دائماً وراء هواجس الإلهام . وجون فنان بوهيمى غذى الفن الإنجليزى

بدماء جديدة بدت غريبة أول الأمر وحدت من شهرته، ولكنه تطور مع الزمن . ويمتاز فنه إبان نضوجه بالميل إلى التبسيط ووضوح الألوان وصفائها . وصور الأشخاص التي يرسمها تمتاز بقوة التعبير وصدق الدلالة على نفسية الشخص المرسوم

ومن الأعلام الممثلين في هذا المعرض السير وليم أوربن الذي لفت الأنظار إليه منذ صدر شبابه ببراعته وقدرته وتمكنه من مختلف نواحي الفن، فمنذ أكثر من ثلاثين عاما وأوربن يرسم صور الأشخاص وصور الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة في يسر وسهولة وتوفيق في التعبير والأداء . ومنهم أيضاً رتشارد سكوت (١٨٦٠ ـ ١٩٤٢) وهو من أصل ألماني ، وقد قيل عنه إنه رسام أدبي ، أي أنه يعنى بما تقصه الصورة أكثر من عنايته بالشكل . وقد تتلمذ على ويسلر، ولكن غلب عليه طابع التأثريين خاصة ديجا ـ وصوره تغلب عليها الألوان القاتمة والظلال ، وكان يفضل الرسم في الأيام الغائمة ، وأكثر رسومه لردهات داخلية قليلة الحظ من الضوء

وأود أن أشير هنا إشارة خاصة إلى الصورة رقم ٨٨ (منظر البحر لإنيل ووكر) وهي من أنفس ما في المعرض ، والذي يتأمل هذه الصورة تأملاً صادقاً ينسى ما تحكيه ـ أي البحر والأمواج ـ ويذكر العاطفة الحية المتوثبة ، الفائضة ، الشادية ، التي تستولي على نفوسنا أحياناً ، فتجعلنا نحس أن الكون لحن كبير قوي ، وإننا بعض هذا اللحن نحس موسيقاه في قلوبنا ، وتهزنا هذه الموسيقى هزاً منغماً كما يهتز القارب الصغير على صفحة الأمواج اهتزازاً قوياً متداركا

* * *

قلنا إن الفنان الذي يلتزم حدود ذاته يستطيع أن ينتج شيئاً ما ، ونقول أيضاً إن التفرد والشذوذ مع القوة ، والإيمان بسداد هذا التفرد والشذوذ عبقرية وأصالة لا شك فيهما

ويتمثل التفرد والشذوذ في أعمال الفنانين المحدثين، ويمثلهم في معرضنا ـ تمثيلاً روعي فيه الجودة والتعقل ـ هنري مور وسذرلند ، وآخر ينسج على منوال هذا الأخير اسمه ادوارد أردیذون (صاحب الصورتين رقم ١ ، ٢) وأعمالهم لا تخلو من صدق في العاطفة والأداء

وهنري مور رسام ونحات ، وهو كصاحبه سذرلند مجدد يتسم بالجرأة والخروج على الأشكال المألوفة ، وبرغم ذلك ـ أو لذلك ـ لا يستطيع الناقد إلا أن يسلم له بأنه فنان بل فنان كبير أحياناً

وسذرلند لا يتقيد بالطبيعة إلا فيما ندر ، وإذا تقيد بها اختار ما لم تألفه العين من الأشكال والألوان فيوفق أحياناً ويخونه التوفيق أحياناً ، وعلى كل أعتقد أنه خير من استطاع أن ينتزع من الطبيعة نفسها مادة للتعبير المجرد المعبر

والجزء الأكبر من إنتاج هؤلاء الفنانين المحدثين لم تتقرر قيمته الفنية بعد ، ومن العسف أن يُحكم الناقد ذوقه الفردي في ظاهرة فنية عالمية كالتي نحن بصددها . وإن كنا نرى أن النظريات الفنية الحديثة في حد ذاتها معقولة ومقنعة ، ولكن الإنتاج الفني نفسه تعوزه القوة والعاطفة والخيال والطواعية أي ينقصه كل عناصر الفن !

وهذا الفن الحديث فيما أرى لا يمثل التحرر من القديم ، بل يمثل عنف الثورة والتمرد على القديم ـ والثورة والتمرد عنصران سلبيان ، والدافع إليه في الغالب اقتناع ذهني لا تسنده عاطفة أو خيال ، وكل ما يستطيع أن يقوله الناقد المعتدل إن هذا الفن قد ينضج مع الزمن

وقد راعى منظمو هذا المعرض ذلك ، فهناك صورة واحدة تمثل مذهب السريالزم ، وأخرى تمثل المذهب التكعيبي ، وثالثة تمثل ما يسمى النيو ريالزم ، ورابعة تمثل الفن التجريدي ، والأخيرة (رسم رقم ٨٥ لجون تنارد) قطعة فذة في نوعها تمتاز باللون والتصميم وموسيقية التعبير، وهي تبين لنا أن الفنان الصادق الإحساس ينجح دائماً مهما اتسم « الزي » الذي يختاره لعاطفته بالغرابة والبعد عن المألوف

وما دمنا بصدد الحديث عن النزعات الفنية الحديثة يمكننا أن نقول إن الفنان الإنجليزي عامة أخذ يحس ويبرز في لوحاته المعاني اللونية الباطنة للأشكال الطبيعية ، ولعل هذا أكبر حسنات النظريات الفنية الحديثة .

نصري عطا الله سرس

مطبعة الرسالة

مستعدة لطبع الكتب والمجلات

بما عرف عنها من

الرقة ، والسرعة ، والنظافة ، والزمن ، واعتدال الأسعار